بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان
بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة ولم ينقل احد
من اهل الاخبارات احد نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل
ذلك ومستند هذا الباب النقل ثم قال وقد استبان لك بما قررناه
ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته او كونه
على حالة تنافي العلم بشي من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها
سمعا ونقلا ولا بشي مما قرر من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا
عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا
او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه
عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكباير اجماعا وعن الصغاير تحقيقا
وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة
وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح ما يجب لك ان تتلقاه
باليمين وتشد عليه يد الضنين فان من تجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها
خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجوز ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري
ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا
يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار وقد استدل بعض الايمة على عصمتهم من
الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرتهم مطلقا وجمهور
الفقها على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة
بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا عند بعضهم في حكم ذلك فلو جوزنا عليهم الصغاير
لم يمكن الاقتدا بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة
والاباحة والحظر والمعصية انتهى **واختلف** في تفسير هذه الاية على وجوه
كثيرة احدها اي وجدك ضالا عن معالم النبوة وعن هو مروي عن ابن عباس
والحسن والضحاك وشهر بن حوشب ويويده قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان اي ما كنت قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان
قاله السمرقندي وقال بكر القاضي ولا الايمان الذي هو الفرايض والاحكام
فقد كان عليه السلام قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها
قبل فازداد بالتكليف ايمانا وسياتي اخر هذا النوع مزيد لذلك ان شا الله تعالى
الثاني من معنى قوله تعالى ضالا ما روي مرفوعا ما ذكره الامام فخر الدين

انه

٨

انه قال عليه السلام ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي حتى كاد الجوع يقتلني
فهداني الله **الثالث** يقال ضل الما في اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الاية كنت مغمورا
بين الكفار بمكة فقواك الله حتى اظهرت دينه **الرابع** ان العرب تسمي الشجرة
الفريدة في الفلاة ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها
شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة
في مفازة الجهل **الخامس** قد يخاطب السيد والمراد قومه اي وجد قومك
ضالين فهداهم بك وبشرعك **السادس** اي محبا لمعرفتي وهو مروي
عن ابن عطا والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك
القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا
السابع اي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب ان يقال
بسبب الهيبة فهداه الله تعالى الى كيفية الثنا حتى قال لا احصي ثنا عليك **الثامن**
اي وجدك بين اهل ضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم
التاسع اي وجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا
اليك الذكر وهذا مروي عن الجنيد **العاشر** عن علي انه صلى الله عليه وسلم قال
ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني
وبين ما اريد ثم ما هممت بعدهما بشي حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام
من قريش كان يرعى باعلا مكة لو حفظت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر
الشباب فخرجت حتى اتيت اول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير
فجلست انظر اليهم وضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس ثم قلت ليلة
اخرى مثل ذلك فضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس ثم ما هممت بعدهما
بسوء حتى اكرمني الله برسالته **واما** قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك فقد احتج بها جماعة من الفقها والمحدثين والمتكلمين
المجوزين للصغاير على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وبظواهر كثيرة
من القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم كما قاله القاضي عياض
الى تجويز الكباير وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل
ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات
في مقتضاه وجات اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك
فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة
على خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح انتهى وقد اختلف

Copyright © King Saud University